النقد اللغوي عند العرب

الأستاذ الدكتور
عهود حسين جبر
جامعة الكوفة ـ مركز دراسات الكوفة ـ قسم الدراسات المنهجية والتحقيق
0h0ud.alhameedawi@uokufa.edu.iq

Linguistic criticism among the Arabs

Professor Dr.
Ahoud Hussein Jabr
University of Kufa - Kufa Studies Center - Department of Methodological Studies and Investigation

الملخص:

إن النقد اللغوي هو فرع من فروع النقد الادبي، يدرس اللغة العربية وخصائصها وبنيتها، ويمكن ان يساهم النقد اللغوي في تطوير اللغة العربية وتنمية قدراتها، والنقد اللغوي يعتمد على معيار السلامة اللغوية لتحديد جودة النص الأدبي أو رداءته.

ومن هذه المعايير التي يمكن ان تؤخذ في نظر الاعتبار النحو والصرف ومدى اتساق النص الادبي مع قواعد النحو والصرف إلى جانب الدلالة.

ومن المعلوم أن اللغة أداة للتعبير والتواصل اللفظي تتضمن أربعة مستويات هي: المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى الدلالي .ويعد النقد اللغوي من أقدم أشكال النقد العربي فقد كانت بداية النقد لغوية، فمما يروى أن النابغة الذبياني كان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ، وأنه قدم الخنساء على حسان بن ثابت.

وبذلك يكون هذا النوع من النقد هو عناية سلامة التركيب النحوي وصحة البناء الصرفي والصوتي وصواب الدلالة، ولقد تولى النقد اللغوي أربع فئات هي: الشعراء والنحاة والقراء واللغويون.، وقد اختلف هذا اللون من النقد في عصوره المختلفة تبعا لظروف كل عصر.

الكلمات المفتاحية: النحاة، اللغويون، الاستقراء، اللحن، الشعر، النقاد.

Abstract:-

Linguistic criticism is a branch of literary criticism that studies the Arabic language, its characteristics, and its structure. Linguistic criticism can contribute to the development of the Arabic language and enhance its capabilities. It relies on the criterion of linguistic correctness to determine the quality or inferiority of a literary text.

Among the criteria that can be considered are grammar and morphology, and the extent to which the literary text conforms to the rules of grammar and morphology, in addition to semantics.

It is well known that language is a tool for expression and verbal communication , encompassing four levels: the phonological level, the morphological level, the syntactic level, and the semantic level. Linguistic criticism is one of the oldest forms of Arabic criticism. Indeed, the beginnings of criticism were linguistic. It is narrated that Al-Nabigha Al-Dhubyani used to judge between poets in the market of Ukaz, and that he gave precedence to Al-Khansa over Hassan ibn Thabit.

Thus, this type of criticism focuses on the correctness of grammatical structure, the soundness of morphological and phonological construction, and the accuracy of meaning. Linguistic criticism has been undertaken by four groups: poets, grammarians, reciters of the Quran, and linguists. This form of criticism has varied throughout its different eras according to the circumstances of each period.

Key words: Grammarians , Linguists , Induction , Melody , Poetry , Critics.

المقدمة:

لقد بذل النقاد العرب من أصحاب الفن اللغوي والنحاة جهدا ضخما في تأسيس منهج نقدي متين، يركز على التطبيق الدقيق للقواعد اللغوية في تحليل النصوص الشعرية من مختلف الجوانب.

وقد تبلورت هذه الجهود على شكل مؤلفات قيمة تضمنت آراء وتوجيهات وتصورات في اللغة كان المعول عليها في التطبيق العملي المباشر مع النصوص النثرية والشعرية وقد كان منهجهم قائما على التعامل المنطقي الصحيح القائم على قواعد ومفاهيم محددة.

ومن اهم الأسباب التي ادت إلى ظهور المنهج اللغوي هو تسرب اللحن إلى لغة العامة من الناس والخاصة، وكانت مهمة هذا المنهج تنقية لغة الادب وتدقيقها من الخطأ.

ويعد عبد الله بن اسحاق الحضرمي من اوائل المؤسسين لهذا المنهج، والحضرمي عالم بصري جليل كان من العلماء الذين وضعوا علم النحو، وقد سار على نهجه مجموعة كبيرة من العلماء الكبار امثال يونس بن حبيب وخلف الاحمر والاصمعي وغيرهم .

والنقد اللغوي هو فرع من فروع النقد الادبي، يدرس اللغة العربية وخصائصها وبنيتها، ويمكن ان يساهم النقد اللغوي في تطوير اللغة العربية وتنمية قدراتها

النقد اللغوي بمعنى آخر هو الذي يعتمد على معيار السلامة اللغوية لتحديد جودة النص الأدبي أو رداءته.

فالظاهرة الشعرية لغوية في جوهرها، ومن هذه المعايير التي يمكن ان تؤخذ في الاعتبار النحو والصرف ومدى اتساق النص الادبي مع قواعدهما إلى جانب الدلالة.

ومن المعلوم أن اللغة أداة للتعبير والتواصل اللفظي تتضمن أربعة مستويات هي: المستوى الصوتي والمستوى و الصرفي والمستوى و النحوي والمستوى الدلالي .ويعد النقد اللغوي من أقدم أشكال النقد العربي فقد كانت بداية النقد لغوية.

وقد تحدث البحث في بدايته عن اللغة العربية ومكانتها عند العرب، ثم انتقل إلى أهمية اللغة في النص الشعري، وكان بعد ذلك توضيح للنقد اللغوي وكيف كان يشكل جزءا من الحركة النقدية في التراث العربي، ثم تناول البحث الجهود التي بذلها العلماء العرب في

سبيل جمع المادة النقية للغة من افواه الاعراب إلى جانب الأشعار،وقد التزم العلماء في هذه الامور بزمن ومكان محددين وقد ذكر البحث ذلك مفصلا .

ثم عرج البحث للحديث عن مستويات النقد اللغوي النحوي والصرفي والصوتي والدلالي، ثم تطرق البحث ايضا إلى الصراع بين النقاد والشعراء.

النقد اللغوي وأهميته في النقد العربي:

اللغة هي المرجع الأول الذي يشتغل عليه الناقد في تحليل النصوص الادبية وسبر أغوارها، وقد نظر النقد العربي في بداياته نظرة جزئية كانت اللغة أساسها، وبذلك يمكن القول ان النقد العربي قد تشكّل في بداياته بإطار لغوي.

وعلى الرغم من فصاحة العرب في العصر الجاهلي الا ان النقاد كانوا يخطئون الشعراء أحيانا معترضين على ما جاء في اشعارهم من الفاظ خرجت عن القياس اللغوي الصحيح.

والعرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام عاشوا في شبه عزلة ولم يختلطوا بالأقوام الأخرى الا بشكل محدود ، فبقيت لغتهم محافظة على شكلها بصورة عامة، يتحدث ابناؤها على سليقتهم، وعند مجيء الإسلام تغيرت الامور ودخل إلى الإسلام اقوام أخرى، فأدى هذا الاختلاط إلى تأثر اللغة العربية وشيوع اللحن بين الناس،وقد كانت المحافظة على لغة القرآن من اوليات النقاد والعلماء في ذلك الوقت ومن اهم الأسباب التي ادت إلى ظهور النقد اللغوي، والنقد اللغوي يعد جزءا من النقد العربي، ويشكل أهمية كبيرة في تاريخ النقد العربي.

"النقاد كانوا حريصين على الحفاظ على اللغة العربية لأنها لغة القرآن، ولأنها جزء أساسي من من الهوية الثقافية والدينية للعرب والمسلمين وقد حرصوا على حمايتها من التحريف والتغيير أو ما يسمى باللحن الذي انتقل إليها نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الاقوام الأخرى، وكان لهؤلاء النقّاد دورٌ بارزٌ في تهذيب الشعر وتنقيته من الهفوات اللغوية التي وقع فيها بعض الشعراء، وذلك عبر لفت انتباههم إلى ما تضمّنته قصائدهم من تجاوزات متنوّعة، شملت الجوانب الصوتية والنحوية والصرفية والعروضية والمعجمية"[1].

إنّ الذين تصدوا للنقد اللغوي هم علماء العربية الافذاذ الذين كانوا يتمتعون بتمكن عميق من اللغة العربية وكانوا على دراية تامة بأسرارها وأساليبها.

"وعليه، كان علماء اللغة والنحو بمنزلة المشرّعين؛ إذ يرجعون إلى الأصول ويصدرون أحكامهم، فيصحّحون ويخطّئون اعتماداً على سعة معرفتهم باللغة، وعمق فهمهم لروحها وخصائصها وأساليبها وطرائقها. ومن ثمّ يميّزون بين الفصيح وغير الفصيح، وينبّهون إلى كل لفظٍ تشوبه العُجمة أو يعتريه أثر اللّكنة، أو تأتي حروفه متنافرة، وغير ذلك من العيوب التي تَشين الكلام وتُنقص من قيمته."(٢).

وقد الفت كتب كثيرة في هذا المجال زودت المكتبة العربية بعلم وافر ثر عني باللغة العربية وحافظ عليها، وقد نظر النقاد في هذا اللون من النقد إلى النص الادبي على وفق مقاييس محددة استنبطوها من الشعر الجاهلي والإسلامي والاموي،واستخرجوا منها معايير نحوية وصرفية ودلالية وصوتية جعلوا منها المسار الذي اختطه العلماء للقصيدة في العصر العباسي، فمن خالفه من الشعراء يعد في نظر العلماء خارجا عن اصول الشعر وموازينه.ولابد له ان يعود إلى تصويبه على وفق منهجهم.

اقام العلماء من البلاغيين والنحاة منهجهم اللغوي على كلام العرب الفصحاء من خلال الجمع والاستقراء وقد بات هذا الفصيح اساسا يعتمد عليه في الحكم على النصوص الادبية،وقد عمد النقاد إلى الاحتجاج بأشعار الجاهليين،والإسلاميين والامويين واعتبروا اشعارهم مصدرا وحجة في اللغة و(يُقصد بالاحتجاج هنا إقامة الدليل على صحة قاعدةٍ ما، أو صحة استعمال لفظٍ أو تركيبٍ معين، اعتماداً على شاهدٍ منقولٍ صحيح الإسناد عن عربيٍّ فصيحٍ سليم السليقة، على نحو ما سيأتي بيانه في موضعه. وقد لجأ العلماء إلى هذا المنهج حين خافوا على نقاء العربية وسلامتها بعد امتزاج أهلها بالأعاجم عقب الفتوحات، واستيطانهم بلادهم ومعايشتهم لهم؛ إذ نتج عن ذلك، بحكم طبيعة الاجتماع البشري، تبادلٌ وتأثرٌ في اللغة والأفكار والأخلاق والعادات. وقد أدرك ذوو البصيرة أن هذا المسار قد يفضي إلى فساد اللغة وذهاب العصبية من جهة، وإلى التقصير في حفظ الدين من جهة أخرى؛ لأن سلامة استنباط أحكامه متوقفة على إحكام فهم نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وأن ضعف العربية يفضي بالضرورة إلى إضعاف هذا الفهم)(٣). وقد

ذكر البغدادي صاحب خزانة الادب ذلك بقوله: (قسمه الْعلمَاء على طَبَقَات أَربع الطَّبَقَة الأولى الشُّعَرَاء الجاهليون وهم قبل الْإِسلام كامرئ الْقَيْس والأعشى، أما الطبقة الثّانيَة المخضرمون وهم الّذين أدركوا الْجَاهِلِيّة وَالْإِسلام كلبيد وَحسان،والثّالثَة المتقدمون وَيُقَال لَهُم الإسلاميون وهم الّذين كَانُوا فِي صدر الْإِسلام كجرير والفرزدق الرّابِعَة المولدون وَيُقَال لَهُم المحدثون واستمرّ ذلك فيمن جاء بعدهم إلى عصرنا، مثل بشّار بن بُرد وأبي نواس. فأمّا الطبقتان الأوليان فالشاهد بشعرهما مقبولٌ بإجماع العلماء، وأمّا الطبقة الثالثة فالأرجح ثبوتُ صحة الاستشهاد بكلامها أيضًا)[٤].

(أمّا من حيث الزمان، فقد أجازوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام إلى حدود منتصف القرن الثاني للهجرة، سواء أكانوا من أهل الحاضرة أم من أهل البادية)[٥].

وقد مرت عملية الحصول على لغة نقية خالصة من اللحن بمراحل هي:

أولاً – الجمع:

انصبت جهود علماء اللغة في البداية الأولى اتجاه جمع النصوص وتدوينها على وفق ضوابط معايير محددة، تتصل بالصياغة الصحيحة للنص، وان تكون عربية من ي سلامة عربية من يأخذون عنه اللغة، إذ عمد علماء اللغة إلى جمع المادة اللغوية الخالصة بعد ان دب اللحن ويأخذون عنه اللغة سليمة تستشرى على الالسنة، وقد تصدى لعملية الجمع خيرة العلماء في ذلك الوقت، ولذلك فإن المرحلة الأولى تقتصر على جمع المادة اللغوية من منابعها الاصلية، أما المرحلة الثانية: فيُطلق عليها مرحلة الاستقراء: إذ قاموا بتصنيفها واستخراج قواعد وهي ما عرف بعلم النحو تحدد الانماط العامة التي س على وفقا اللغة العربية الصحيحة وهذا العلم (علم النحو علمٌ قائمٌ على قواعد وقياساتٍ استُنبطت من تتبّع كلام العرب واستقرائه، وتفضي إلى معرفة أحكام أجزائه التي يتركّب منها)[٦].

وقد اتجه العلماء إلى فحص ودراسة النصوص التي جمعوها لاستخراج القواعد منها، أما المرحلة والثالثة: فقد كان عملهم ينصب على التعرف على أسرار اللغة، وتعليل أحكامها لمعرفة حكمة العرب في كلامها[٧].

وقد التزم هؤلاء العلماء بأخذ اللغة بمكان وزمان محددين، (سبق القول إنّ مهمّة جمع اللغة لم تكنّ ليقوم بها أي شخص بل تصدّى لها من كانوا على جانب كبير من العلم والمعرفة اللغوية، ويكفي أن نعلم أن أبا عمرو بن العلاء الذي قاد التحريات اللغوية كان من المسيطرين على الحركة العلمية وانه واضع منهج الاستقراء في عصره)[٨].

الصراع بين علماء النحو واللغة والشعراء:

ان النحاة حاولوا ان يفرضوا آراءهم وقواعدهم على الشعراء، غير آبهين بما يمكن ان يجي، به الشاعر من استعمالات يقيسها على نظائر لها في كلام العرب: أو يبتكرها ويبتدعها، بعد أن تدفعه إليها مضايق الشعر، وضرورات التعبير بقوالبه وأوزانه. لقد وجد النقاد اللغويون في لغة عدد من الشعراء تراكيب واستعمالات، تندّ عن المألوف من قواعد اللغة، ولا تساير المعهود من أساليبها فحكموا على بعضها بالخطأ[٩].

وقد كان الشعر القديم مفضلا على المحدث في نظر معظم النقاد المحافظين من علماء النحو واللغة بغض النظر عن جودته وابداع صاحبه وتحمل كتب الادب والتاريخ من الحوادث والمواقف ما يبين حدة الصراع بين الشعراء وعلماء اللغة والنحو وقد ذكر البغدادي صاحب خزانة الادب جانبا من هذه من هذه المواقف، ومنها موقف ابي عمر بن العلاء الذي يتحرج من رواية الشعر المحدث على الرغم من حسنه وكثرته فيقول: (قد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته)[١٠].

وقد ولّد تزمت النقاد اتجاه الشعراء وتخطئتهم، صراعا حادا، ادى إلى التصادم والعداء في أغلب الاحيان.

تتكرّر في كتب الأدب العربي والنقد أخبارُ "معارك" طريفة دارت بين الشعراء من جهة، والنحاة من جهة أخرى. وقد برز في هذه المواجهات عددٌ من الشعراء، مثل الفرزدق وبشّار وابن الرومي والبحتري وعمّار الكلبي وغيرهم، كما عُرف فيها من النحاة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء، وسيبويه وسواهم. وتعود أسباب هذه المناوشات إلى ما كان النحاة يوجّهونه إلى لغة الشعراء من ملاحظاتٍ وتقويمات؛ إذ لم يكتفِ الشعراء برفضها، بل تجاوزوا ذلك إلى مهاجمة النحاة واتهامهم بالعجز عن فهم الشعر وكشف أسرار لغته وطرائق تعبيره[١١].

وقد نُقل عن البحتري أنّ عبدَ الله بن عبدِ الله بن طاهر سأله: أيّهما أشعر، مسلم أم أبو نواس؟ فأجاب: أبو نواس. فقال له: إن أبا العبّاس ثعلبًا لا يوافقك على ذلك. فعلق البحتري قائلاً إن هذا ليس ممّا يُرجَع فيه إلى ثعلب وأمثاله ممّن يتعاطون علم الشعر دون ممارسته؛ إذ إن إدراك دقائق هذا الفنّ إنما يكون لمن خاض طريق الشعر، وبلغ شعابه الدقيقة، ووقف على ضروراتِه ومضايقه(١٢).

من ذلك ايضا الصراع بين الفرزدق وأبي إسحاق الحضرمي، و ما كان من اعتراض الحضرمي على بعض اشعار الفرزدق والرد الرادع من قبل الفرزدق، فحين سئل الحضرمي عن كلمة مرفوعة في شعر الفرزدق وكان من المفترض ان تكون منصوبة في قول الفرزدق:

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتا أو مجلّف

قال عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي للفرزدق: بم رفعت أو مجلف فقال: بما يسوءك وينوءك علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا(١٣).

وهو القائل فيه:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ... ولكن عبد الله مولى مواليا

ولم يسلم الفرزدق في هجائه للحضرمي من نقد الاخير له مخطئا له مرة أخرى بقوله: لاتقل مولى مواليا وقل مولى موال.

ومن الجدير بالذكر أيضا ما حصل من خلاف شديد بين ابن خالويه والمتنبي وهو مثال آخر لما كان من عداء بين النحاة والشعراء. فقد تحدى احدهما الآخر في مسألة لغوية، فتطاول المتنبي في الكلام على ابن خالويه، فأثار غضبه، واخذ بمفتاح كان يخفيه في كمه، فضرب به وجه المتنبي، فأسال دمه(١٤).

وقد ذكر ابن سنان صاحب سر الفصاحة في فصل ذكر الأقوال الفاسدة في نقد الكلام إلى تفضيل شعر العرب الاوائل على شعر المحدثين فقال:

(ذهب فريقٌ من الرواة وأهل اللغة إلى تفضيل شعر العرب المتقدّمين على شعر المحدثين جميعًا، ولم يَروا جواز إلحاق أحدٍ ممّن تأخّر عصره بتلك الطبقة، وإن عُدَّ عندهم مُحسنًا في

قوله. وقد اختلفوا في تعليل هذا الموقف وبيان أسبابه)[١٥].

وقد كان موقف بعض النقاد والشعراء من علماء اللغة حاسما، فهؤلاء الفئة من العلماء لا يستطيعون النفاذ إلى اسرار الشعر وابداع الشعراء وانما مهمتهم تقتصر على أمور محددة فيه كالنحو والصرف وغير ذلك (فاللغويون لا نستطيع أن نجعلهم في صفوف النقاد، ولا نستطيع أن نعد نقدهم نقداً لغوياً متكاملا، لأنه جاء مقتصرا على بيان الصواب والخطأ في لغة الاعمال الادبية، وهو بعض النقد اللغوي لا كله، أو هو جانب من هذا المنهج النقدي المهم. لقد واجه هؤلاء اللغويون الاعمال الادبية بمعرفة اللغوي أو النحوي وحدها، وهي معرفة لا تكفي لنقد لغة النص، ما لم يصاحبها طبع ناقد، وموهبة نقدية، وذوق فني مرهف، نجم عن درس واسع للأساليب، و تمرس نام بروائع الشعر والنثر)[١٦].

وقد ذكر الجاحظ ان العلماء لا يعرفون اسرار الشعر فقال بما معناه: (التمسّت علمَ الشعر عند الأصمعي، فلم أجد عنده إلا عنايته بغريبه. ثم سألت الأخفش، فإذا معرفته لا تتجاوز إعرابه. وسألت أبا عبيدة، فرأيت اهتمامه منصرفًا إلى ما يتصل بالأخبار والروايات. ولم أبلغ ما كنت أبتغيه حقًّا إلا عند أدباء الكُتّاب، مثل الحسن بن وهب.)[١٧].

وعبد القاهر في هذه القضية أسير النحو، يقيس الشعر والكلام بمقاييسه، وبقدره على معاييره، ومؤدّى هذا الرأي أن يلتزم الشاعر في نظمه بما تقتضيه معاني النحو وقواعده من تقديمٍ وتأخير، وحذفٍ وإضمارٍ ونحو ذلك؛ إذ إن الإخلال بهذه الضوابط يعرّض شعره لوَسْمِه بالتعقيد، ويجعل نظمه موصوفًا بالخلل، ويوقع كلامه في سوء التأليف. وقد شاعت هذه الفكرة منذ زمنٍ مبكر، وكان لها أثرٌ واضح في العلاقة بين الشعر والنحو، حتى أثارت حفيظةَ الشعراء تجاه النحاة[١٨].

ويختلف البلاغيون في نظرتهم إلى الشعر عن علماء اللغة،فالبلاغيون يقرون بصفة الانحراف في اللغة الشعرية، فهي جزء من ابداع الشاعر، في المقابل، كان النحاة واللغويون يشدّدون على سلامة القاعدة واطرادها. ومن ثمّ عُدّت الظواهر ذاتها في كتب النحو واللغة من باب ضرورات الشعر، بينما نظر إليها البلاغيون على أنها من ضروب المجاز.

مستويات النقد اللغوي:

(توزع النقد اللغوي على وفق مستويات أربعة هي المستوى النحوي، الصرفي، الدلالي، الصوتي. أن النظام الصوتي العربي كان أقلّ الأنظمة تغيرا أو تعرضا للخطأ، فإن ما ورد عن النقد الصوتي قليل، وهو متفق في كتب القراءات والتجويد .وعليه، فأظهر مناحي النقد اللغوي تجلّت في المستوى النحوي والصرفي والدلالي.)[١٩].

أولاً ـ المستوى النحوي:

لقد ذكر البحث سابقا ان العلماء العرب وجدوا اللغة العربية وهي لغة القرآن قد خالطها اللحن ودب فيها، فلابد ان يتخذوا خطوات عملية من شأنها ان تعود باللغة إلى سابق عهدها من الفصاحة والنقاء، وكانت اول هذه الخطوات جمع المادة اللغوية من منابعها الاصلية،ومن ثم قاموا بتصنيفها واستخراج قواعدها وهي ما عرف بعلم النحو الذي يحدد الانماط العامة التي سار عليها العلماء في احكامهم على صحة النصوص أو عدمها ، وهو ما عرف بالنقد اللغوي وهو النقد الذي أ خّذ تصويب الخطأ النحوي في النص منهجا له. ويعد هذا المنحى من أدق مناحي النقد اللغوي[٢٠].

(يُعدّ المقياس النحوي من أبرز المعايير النقدية لدى فئةٍ من نقّاد العرب، وهم النحاة؛ إذ كانوا يترصّدون للشعراء، ويحصون ما يقع في أشعارهم من هناتٍ تُخالف القواعد النحوية المقرّرة. ولذلك لم تَخلُ الساحة كثيراً من منازعاتٍ وخصوماتٍ تنشب بين الشعراء والنحاة)[٢١].

ومن أهم الامور التي تناولها النقد اللغوي في المنحى النحوي،هو عدم فهم النص وتعقيده بسبب ما يسببه التقديم و التأخير، إذا كان النقّاد القدامى قد أشادوا بجودة التأليف وحسن السَّبك، وعدّوهما من أهم معايير الفنّ الشعري، فإنهم حرصًا على فنية الشعر وجماله - ذمّوا التعقيد لما يخلّفه من أثرٍ سلبي، ولا سيّما حين يرتبط بظاهرة التقديم والتأخير .فهذه الظاهرة تُعدّ من ركائز بناء الجملة وبلاغتها، وبها يتحقّق المراد ويُصاب غرض المتكلّم، بما يضمن التواصل بينه وبين المخاطَب .غير أنّ سوء التأليف والتركيب قد يجعل الكلام مضطرب الدلالة غير واضح الإشارة، فيختلّ نظمه، ويعجز السامع عن الاهتداء إلى المعنى المقصود .وقد أورد القزويني في الإيضاح بيتًا للفرزدق مثالًا على رداءة

التأليف وغموض الدلالة، فقال الفرزدق:

وما مثلُه في الناس إلا مملّكًا أبو أمه حي أبوه يقاربه

وقد علّق على هذا البيت بقوله إن الوجه الأولى في التعبير أن يُقال: «وما مثله في الناس حيٌّ مملَّكًا أبوهُ أُمَّهُ أبوهُ»، لأن المقصود مدحُ إبراهيم بن هشام بن عبد الملك بن مروان. فعبارة «وما مثله» تشير إلى إبراهيم الممدوح، و«في الناس حيٌّ يقاربه» أي لا يوجد من يشابهه في الفضائل، ثم جاء الاستثناء بـ«إلا مملّكًا» والمراد به هشام. وبيّن أن الضمير في «أمّه» يعود إلى الملك، بينما يعود الضمير في «أبوه» إلى الممدوح. كما أشار إلى أن الشاعر فصل بين المبتدأ «أبوه أمه» وخبره «أبوه» بألفاظٍ أجنبية عن العلاقة النحوية، وفصل كذلك بين «حيّ» ونعته «يقاربه» بما ليس من تمامهما، فضلًا عن تقديم المستثنى على المستثنى منه؛ الأمر الذي جعل التركيب بالغ التعقيد.

وبناءً على ذلك، فإن هذا التعقيد أخلّ بنظم البيت، وأفضى إلى فساد المعنى وغموضه، وأبعده عن الفهم الذي يُعدّ ركنًا أساسًا من أركان البلاغة؛ إذ إن البلاغة تتصل باللفظ من حيث قدرته عند التركيب على إيصال المعنى وإفادته على وجهٍ واضح(٢٢).

الفصل بين العناصر النحوية:

يُعدّ الفصل من الظواهر النحوية التي تتصل اتصالًا وثيقًا بالدرس البلاغي .والمقصود به ما يَرِد في الشعر من تفريقٍ بين العناصر النحوية المتلازمة، كالفصل بين المضاف والمضاف إليه، أو بين الجارّ والمجرور، أو بين الصفة والموصوف .وغالبًا ما يترتب على ذلك اضطرابُ النظم، وصعوبةُ تلقي المعنى، وما ينشأ عنه من غموضٍ وإبهام؛ لذلك ذمّ النقّاد القدامى هذه الظاهرة في الشعر؛ لأنها تُذهب طلاوته وتُضعف سلامة لغته .وقد عدّ البلاغيون واللغويون الفصل بين الجارّ والمجرور من المواضع القبيحة، وأورد ابن جني في الخصائص شواهدَ تمثّل هذا النوع من الفصل، من ذلك قول الشاعر:

لو كنت في خلقاء أو رأس شاهق وليس إلي منها النزول سبيل

في هذا البيت فصل الشاعر بين حرف الجر «إلى» والاسم المجرور «النزول» بإقحام جارٍ ومجرورٍ («منها») بينهما. كما أورد المرزباني في الموشّح بيتًا للشاعرة دُرْنا بنت عبعبة،

وقع فيه فصلٌ بين المضاف والمضاف إليه بواسطة جارٍّ ومجرور، وذلك في قولها:

هما أخوا في الحرب من لا أخا لها إذا خاف يوما نَبوةً فدعاهما

والتركيب الذي وقع فيه الفصل هو «هما أخو»، إذ فُصل بين طرفيه بإدخال الجارّ والمجرور «في الحرب». وهذا الفصل غير مستحسن؛ لأنه يخلّ بنظم البيت ويُضعف اتساقه. وقد استقبح سيبويه هذا النوع من الفصل بين المضاف والمضاف إليه(٢٣).

إنّ النحو، بما يقرّره من أحكام، لا يستطيع وحده أن يُحيط بأسرار اللغة الشعرية ودقائقها التي يتطلّب فهمها نفاذًا في النظر؛ إذ يضع قواعد عامة يُجريها على ظواهر متباينة، فتغيب معها أحيانًا الخصائص الفريدة للكلام. كما أن تصنيفاتٍ مثل الفاعلية والمفعولية، والابتداء والخبرية، وغيرها من المصطلحات النحوية، لا تكفي بمفردها لشرح الأثر الشعري الذي تُحدثه مواقع الألفاظ داخل العبارة وكيفية انتظامها في السياق(٢٤).

ويرى الجرجاني إنّ فَساد الشعر إنما يعود إلى عدم مراعاة أحكام النحو ومعانيه، ومن ذلك أنه يفَسد قول الفرزدق:

وما مثلُه في الناس إلا مملّكًا أبو أمه حي أبوه يقاربه

ومرد فساده إلى أن الشاعر(قد يلجأ الشاعر إلى تقديمٍ أو تأخير، أو حذف وإضمار، أو غير ذلك من الأساليب التي لا يقرّها هذا العلم على أصوله، ولا يراها سائغةً أو صحيحةً وفق قواعده)(٢٥).

تُعدّ ظاهرةُ التقديم والتأخير من الظواهر اللغوية الملازمة لبناء الجملة العربية من حيث تركيبها النحوي، وقد أفاد منها الشعراء في صياغة أساليبهم. غير أنّ الإفراط فيها أو توظيفها على نحوٍ غير منضبط قد يفضي إلى الإبهام وغموض الدلالة. وفي هذا السياق، ينطلق الآمدي في نقده اللغوي المتصل بهذا الباب من مبدأٍ بالغ الأهمية، مؤدّاه أن سلامة التأليف في الشعر وفي كل صناعة ــ تُعدّ من أقوى دعائمها بعد سلامة المعنى؛ فكلما كان التأليف أحكم كان العمل أمتن، بخلاف ما يعتريه اضطراب في بنائه. وبناءً على هذا التصور، يظهر نفورُه من التقديم والتأخير حين يوقعان في التعسّف ويُفسدان البناء اللغوي، بما يُضعف

الشعر ويُنقص من قيمته. لذلك نجده في كتابه الموازنة يصف بعض شعر أبي تمام بالرداءة بسبب سوء التأليف وما يترتب عليه من غموض المعنى، ومن ذلك قوله:

خـــان الصـــفا أخ خـــان الزمـــان أخ عنـــه فلـــم يتخـــون جســـمه الكمـــد

وقد علّق الآمدي على هذا البيت مبيّنًا أن أكثر ألفاظه وهي سبع كلمات ينتهي آخرها بـ«عنه» شديدة التعلّق بعضها ببعض على نحوٍ يُثقل التركيب ويُسيء إلى سبكه .كما استقبح ما اعتمده الشاعر من إدخال ألفاظٍ في البيت لمجرّد التشابه الصوتي، مثل تقارب «خان» و«خان» و «يتخوّن»، وكذلك مراعاة التشابه بين «أخ» و«أخا» .ويرى الآمدي أنّ التأمّل في المعنى يكشف مقدار ما أحدثه هذا اللفظ من إفساد؛ إذ لا يترك في الكلام طلاوةً تُذكر ولا يضيف فائدةً كبيرة .ثم يوضح أن المراد، في الأصل، هو :أن الصفاء خان أخاه، وأن الزمان خان أخًا بسببه، ما لم يفسد الجسدَ حزنُه وكمدُه(٢٦).

إن من حسن وضع الألفاظ في مواضعها أن يُتجنَّب في الكلام ما لا تدعو إليه حاجة من التقديم والتأخير إذا كان من شأنه أن يُفسد المعنى أو يُوقع خللًا في الإعراب في بعض المواضع، أو يُبعد الكلام عن وجهه الصحيح. ويشتدّ الأمر قبحًا إذا أُدخلت الضرورات على نحوٍ يفضي إلى الفصل بين ما لا يُستحسن فصلُه في لسان العرب، كالصلة والموصول وما يجري مجراهما.

كان ابنُ جني من النقّاد الذين تناولوا جانبًا من النقد المتصل بظاهرة التقديم والتأخير حين تُستعمل دون أن تثمر قيمةً جمالية، فتؤول إلى تعقيد المعنى وإغراقه في الغموض. وقد لاحظ أن المتنبي كان يُفرط أحيانًا في هذا الأسلوب حتى يبتعد عن وجه الصواب، ومن ذلك أن يعود الضمير على متأخر، كما في قوله:

أعيـــذها نظـــرات منـــك صادقـــة أن تحسـب الشـحم فـيمن شـحمه ورم

وقد علّق ابن جني على ذلك موضحًا أنه سأل عن الهاء في (أعيذها): إلى أي شيء تعود؟ فقيل: إنها تعود إلى (النظرات)، وقد أجاز أبو الحسن نحوًا من هذا الاستعمال. ثم فُسِّر المعنى على أن المقصود: أستعيذ لنظراتك الصادقة أن ترى الشمس على غير حقيقتها، أي أن تظن بالساقط فضلًا، أو بأهل الشر والبلاء خيرًا، فالمعنى في النهاية:

أستعيذ لتلك النظرات.

ومن الواضح أن الناقد توقّف عند هذا البيت وأخضعه للملاحظة النقدية لما فيه من إشكالات تُعقّد الدلالة وتُغْمِض المعنى. وتتمثل المشكلة هنا في عودة الضمير على متأخر، وهو ما يُعدّ خروجًا عمّا جرى عليه لسان العربية، ويُباعد عن الوضوح الذي تُقيم عليه البلاغة أساسها(٢٧).

ثانياً - المستوى الصرفي:

ونعني به النقد الذي اعترض فيه على النص من زاوية علم الصرف. وهو النظر إلى الكلمة المفردة أو اللفظة من حيث سلامتها من التنافر والغرابة(٢٨).

تتمحور آراء النقّاد وطرائق تعاملهم مع ما يَرِد في الشعر من خروجٍ عن الصيغ الصرفية المألوفة كالاشتقاق، والتصغير، والتضعيف، وصيغ الجمع حول مدى التزام الشعراء بما استقرّ عليه استعمال العرب في كلامهم. وقد ارتبط هذا الاهتمام برغبةٍ واضحة في صون العربية وإبقاء صلتها ممتدة عبر الزمن؛ بحيث تظلّ متّسقة الحلقات، متواصلة النسب بين أجيالها. ومن هنا، تناول نقّاد القرن الرابع الهجري أبرز هذه القضايا من زاوية بنية الكلمة، مبيّنين وجوه الصواب والخطأ كما ظهرت في أشعار الشعراء. ونبدأ أولًا بالحديث عن:

المآخذ اللغوية التي وجّهها النقّاد إلى الشعراء في باب الاشتقاق:

يرى النقّاد أن من أبرز ما يُؤخذ على الشعراء في هذا الباب خروجُهم عن الصيغ المألوفة في الاستعمال عند العرب؛ لأن الكلمة إذا استُعملت على غير ما عُرفت به في لسانهم عُدّت مستقبحةً ومهجّنة. وفي هذا المعنى يقول الآمدي إن الكلمة إذا لم تُؤتَ على لفظها المعتاد (هجُنت وقبُحت)(٢٩).

لأمـــــة فاضـــــة أضـــــاهُ دلاص أحكمـــــت نســـــجها يـــــدا داوود

اللأمَة هي الدِّرع، و«فاضة» أي واسعةٌ تفيض على الدرع وتغمرها. وقد وُصفت بالفَيْض لأن مظهرها يُشبه الغدير، ولأن من طبيعة الماء أن يفيض ويتدفّق من أجل أنه لا يقال درع فاضة، إنما يقال: مفاضة، وجمعها مفاض. ويقال الدرع أيضاً فضفاضة وفضافضة إذا كانت واسعة.

وقال أمرؤ القيس، وبعض أصحابنا يرويها لأبي داود:

وأدْدْتُ للحـــــــرْبِ فضَفاضَـــــــةً تضَـــــاءلُ في الطـــــي كـــــالمبرد

فإن كنت اشتققت فاضة من قول امرئ القيس:

تفـــــضُ علـــــى المَـــــرْء أرْدانـــــهُ كفَـــيضِ الأتي علـــى الجُـــدْ جـــد

والأولى أن تُقال (فائضة) لا (فاضة). فهذه اللفظة لم تَرِد - فيما عُرف - في شعرٍ عربيٍّ صريح، ولا في كلامِ مولَّدٍ فصيح، ولم نسمع بـ (فاضة) إلا في هذا البيت وحده[٣٠].

وقد جاء في درة الغواص للحريري في اثناء حديثه عن اسماء جنس المذكر وجمعها بالألف والتاء (فيقول: فيقولون في جمع جوالق جوالقات فيخطئون فيه لان القياس المطرد الا تجمع بالألف والتاء :ولِهَذَا عيب على أبي الطّيب جمعه بوقا على بوقات)[٣١] فِي قَوْله[٣٢]:

إذا كـان بعـض النّـاس سَـيْفا لدولـة فَفِـي النّـاس بوقـات لَهَـا وطبـول

لان جمع (بوق) على (ابواق) وليس بوقات وأن شروط جمع المؤنث السالم لا تتوفر في هذه الكلمة.وهي (بوق)

وانتقد الخفاجي صاحب كتاب (سر الفصاحة) كلمة (تفرعن) في قول أبي تمام:

جليـت والمـوت مبـد حـر صـفحته وقـد تفـرعن في أفعالـه الأجـل

لأن (تفرعن) مشتقة من (فرعون) على غير سماعٍ، ولأن الخفاجي كان من منكري القياس على ما يبدو.

ثالثاً ـ المستوى الصوتي:

يُعدّ المستوى الصوتي أحد محاور النقد اللغوي، كما يمثّل ركيزةً أساسية في تحليل الشعر العربي. وقد انصبّ اهتمام البحث في هذا الجانب على عروض الشعر، مع التعرّض لأبرز العيوب العروضية التي قد يقع فيها الشعراء، وما وجّهه النقّاد من مآخذ على نظمهم. وتشمل هذه العيوب ما يتصل بالوزن من حيث اضطرابه واختلاله، أو ما يرتبط بالقافية وما

قد يلحق بها من هناتٍ مثل الإقواء والإيطاء وغيرهما. وتُعدّ هذه الظواهر جميعًا خروجًا عن النظام المألوف في العربية. وإلى جانب ذلك، تناول البحث الألفاظ والتراكيب التي تتسم بالتعقيد والكراهة والثقل.

وقد ارتأى علماء العربية ومنهم سيبويه ان الشعر يختلف عن النثر، فله ضرورات يعمد إليها الشعراء للخروج عن المعايير التي اتفق عليها على مختلف مستويات اللغة، وقد ذكر في كتابه عندما عقد بابا سماه: ما يحتمل الشعر: مريدا بذلك أن يبين أن نظام النحو في الشعر يسمح بما لا يسمح به في الشعر. وقد كشف هذا أكبر شارحي كتاب سيبويه، وهو أبو سعيد السيرافي، عندما أراد أن يشرح هذا الباب، فقال: (اعلم أن سيبويه ذكر في هذا الباب جملة من ضرورة الشعر؛ ليرى بها الفرق بين الشعر والكلام، ولم يتقصه، لأنه لم يكن غرضه في ذكر ضرورة الشاعر قصدا إليها نفسها، وإنما أراد أن يصل هذا الباب بالأبواب التي تقدمت فيما يعرض في كلام العرب، ومذهبهم في الكلام المنظوم والمنثور وقد بدأ سيبويه بمبدأ عام هو قوله: (و اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام)[٣٣].

وقد تلقف النحويون بعده إشارته جمله، وبناء له نظامه المخصوص في تأليف أن للشعر ضرورات بدلا من أن يكون ضرورة الشعر، في ذلك كتبا عرفت بكتب تراكيبه، ثم ما لبثوا أن ألفوا، وغير ذلك، فمالوا بذلك عن الضرائر، أو ما يجوز للشاعر في الضرورة، وتركوا وصف الجملة في الشعر طريق سيبويه، وانصرفوا إلى استخراج الضرورات وصفا مقصودا لذاته. .العودة إلى السنن)[٣٤].

تُعدّ المحافظة على لغة النص من القضايا التي يلتقي فيها النقد اللغوي بالنقد البلاغي، ويتجلّى ذلك في العناية بألفاظه وصيانتها. فألفاظ الشعر في نظر النقّاد قد تتسم بصفاتٍ محمودة، وقد يعتريها ما يُضعفها. أمّا الألفاظ التي يرونها حسنةً وجيّدة فهي ما جاء موافقًا لمقاييس اللغة، متّصفًا بالفصاحة، ومنسجمًا من حيث الجرس الصوتي، واضح الدلالة؛ وهو ما يُعين الشاعر على تصوير المعنى أو بناء الصورة التي يريد إيصالها ببيانٍ وإيضاح. وأمّا الألفاظ الرديئة فهي التي يظهر فيها تنافر الحروف، أو تمتاز بالغرابة والابتذال، فيترتب على ذلك غموض المعنى، والابتعاد عن الفصاحة والبلاغة. ولتحقيق الاستحسان في اللفظة، ينبغي أن تتألف من حروفٍ متباعدة المخارج، لأن التباعد - في تصورهم - من

علامات جودة اللفظ وسلاسته. ومن ثمّ استقبح النقّاد القدامى كل تركيبٍ تقاربت مخارج حروفه حتى يثقل على السمع. ومثال ذلك ما أورده الخطيب القزويني في تعليقه على بيتٍ لأبي تمام، تكررت فيه أصوات بعينها كالحاء والهاء - في لفظ (أمدحه)، إذ قال:

كـريم مـتى أمدحـه أمدحـه والـورى ... معـي، ومـتى مـا لمتـه لمتـه وحـدي

قال الخطيب (فإن في قوله: أمدحه ثقلا لما بين الحاء والهاء)

حرص النقّاد على تحقيق الانسجام الصوتي في اللفظ، وأكّد ذلك غيرُ واحدٍ منهم. وفي هذا السياق تحدّث الجاحظ عن تلاؤم الحروف داخل الكلمة، مبيّنًا أن بعض الأصوات لا يحسن اجتماعها لما يسبّبه ذلك من عُسرٍ في النطق، فقال: «فأمّا في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين، بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارب الظاء ولا السين ولا الضاد، ولا الذال بتقديم ولا تأخير».

كما حدّد ابن جني ملامح الانسجام الصوتي، فذكر أن العرب تستحسن من التراكيب ما تباعدت مخارج حروفه، مثل اجتماع الهمزة مع النون، والحاء مع الباء، نحو: «آن»، و«نأي»، و«حب»، و«بح»، وتستقبح ما تقاربت مخارج حروفه.

وفي الاتجاه نفسه، اشترط ابن سنان لحُسن الكلمة صوتيًا أن تكون مخارج حروفها متباعدة غير متقاربة. ورغم أنه لم يضع حدًّا دقيقًا لهذا التباعد أو التقارب، فإنه قرّر أن التباعد من سمات جودة اللفظة، وعضّد فكرته بتشبيهٍ يقوم على المقارنة بين الألوان في المنظر؛ إذ يرى أن تباينها إذا اجتمع كان أبهى من تقاربها. وفي هذا المعنى يقول: «أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج، تلك الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة[٣٥].

يقول المرزباني في كتابه الموشح: عيوب الشعر هي: (الإقواء والإكفاء والإيطاء والسناد)[٣٦].

كقول دريد بن الصمة:

نظـرت إليـه والرمـاح تنوشـه ... كوقـع الصياصـي في النسـيج الممـدِ

ثم قال[٣٧]:

فأرهبت عنه القوم حتى تبددوا وحتى علاني حالك اللون أسودُ

من جوازات الشعر:

ذكر العلماء أنّ الشاعر قد يُجيز لنفسه في الشعر صرفَ ما لا ينصرف؛ لأن الأصل في الأسماء أن تكون مُنصرِفة، ولأن الشعر قد يحتمل من التوسّع ما لا يحتمله النثر.

نحو قوله:

لم تتلقع بفضل مئزرها دَعْد ولم تُغْذَ دعد بالعُلَبْ

فصرف دعد وترك الصرف في بيت واحد.

ومما يجري مجرى ذلك في المعنى قصرُ الممدود؛ فهو مما يجوز في الشعر، بخلاف مدّ المقصور، لأنه خروجٌ عن الأصل. أمّا قصرُ الممدود فليس إلا ردًّا للشيء إلى أصله. وقد جاء في ذلك قول الشاعر:

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل

فقصر البكاء ومده في بيت واحد(٣٨).

رابعاً - المستوى الدلالي:

فلفظة «وددتُه» هنا تبدو نافرةً مضطربة، كأنها أُقحمت في موضعها إقحامًا ولم تستقرّ فيه على سلاسة. ويبدو أن الشاعر أراد أن يقول: «أحببتُه»، غير أنّ الوزن لم يساعده على ذلك، فراح يفتّش عن كلمة تؤدّي المعنى نفسه وتنسجم مع الإيقاع، فلم يجد - فيما ظهر له إلا هذه اللفظة. ثم تأمّل الشطر الثاني من هذا البيت(٣٩).

بأبي من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

ومن الأشياء التي ذ مها النقاد في البناء الشعري أيضا أن يستعمل الشاعر ألفاظا غريبة تؤدي إلى الغموض والإبهام، مثل قول المتنبي الذي عابه فيه النقاد:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشجاه ساجمه

في هذا البيت يفتتح المتنبي خطابه بتوجيه الكلام إلى صاحبيه على سنن الشعراء العرب في مخاطبة الرفيقين، وقد كانا قد أعطياه عهداً أن يشاركاه البكاء عند ديار الأحبة. لذلك شبّه

وفاءهما بإسعاده بما يكون من شأن الربع، ثم يوضح وجه الشبه بقوله: «أشجاه طاسمه»؛ أي إن الديار إذا طال بها العهد فدَرَست واندثرت كانت أشدَّ إثارةً للشجن في نفس زائرها، لأنها لا تُمتع المحبّ كما يُمتعه الربع الواضح المعالم، بل تزيده حزنًا. وعلى هذا القياس، فإن الوفاء بالإسعاد إن لم يُقترن بدمعٍ ساجم—أي هاملٍ متتابع—كان أدعى إلى الأسى وأشدَّ بعثًا للحزن. ومن ثمّ أراد أن يقول لصاحبيه: ابكيا معي بدمعٍ منسكب، فإن انهمار الدمع أشفى للغليل إذا سال، كما أن الربع يكون أشجى للمحب إذا عفا أثره وطمست معالمه.

فالصورة التشبيهية التي أتى بها المتنبي تتميز بغرابتها وقد تجاوزت الحد المألوف، إذ عبث بنظام اللغة عبثًا غير مقبول جعل ابن رشيق يقول: «إن هذا الشعر به حاجة إلى عالم كالأصمعي حتى يفسر معناه، أي أن المعنى لهذا البيت كان غامضا وتأتي ألفاظه على قدرٍ من الغرابة، بحيث لا يستبين معناها إلا لمن كان واسع الاطلاع على اللغة، متمكّنًا من أصولها؛ إذ يحتاج إلى شرح مفرداتها أولًا حتى يُدرك المقصود الذي أراده الشاعر[٤٠] .

وقد علق القاضي الجرجاني بما معناه مستهجنا فقال: (ومن يطالع هذه الألفاظ الثقيلة وهذا التعقيد المفرط قد يظنّ أن وراءها كنزًا من الحكمة، وأن في طيّها معنى نفيسًا يستحق عناء البحث. غير أنه إذا فتّشها وكشف ما استتر فيها، وسهر زمنًا في تتبّع دلالاتها، لم يخرج في النهاية إلا بمعنى قريبٍ يسير: وهو أن الشاعر يقول لعاذِلَيه إن وفاءكما أن تُسعداني بالبكاء يوافق شجني عند الديار إذا درست؛ فكلما ازداد اندراسها ازددتُ حزنًا، كما يزداد شجنُ المحبّ إذا رأى الربع قد طُمست معالمه. فأيُّ معنى هذا مما يُضحّى من أجله بحلاوة اللفظ، وبهاء الطبع، ورونق الاستهلال؟ وأيُّ جدوى تبرّر أن يُرهَق النَّسج ويُهلهَل، ويُفسَد النظم في سبيله؟)[٤١].

ومن الالفاظ التي درج الشعراء على ذكرها، الالفاظ التي تدل على الاماكن وكان بعضها لا يتلاءم مع الجو الشعري ووقعها ثقيل على السمع، (وقد عابوا قول جرير)

تقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

وقد وصل الأمر ان قال الوليد لجرير ان ذكره لبوزع وهو أسم مكان قد افسد شعره[٤٢]:

واستقبحوا قول أبي تمام يقول:

أنـــــاس في حبينـــــاء عـــــاينوا عمـــارة رحلـــى مـــن طريـــف وتالـــد

وقالوا: ما الفائدة في ذكر حبينا. وليس أبو تمام مضطراً إلى ذكر الموضع الذي قيل له فيه هذا. وقد ذكروا أن الفرزدق أنكر على مالك بن اسماء بن خارجة وقد أنشده: حبذا ليلتي بتل بوني وقال أفسدت شعرك بذكر (بوني)

قال له ففي بوني كان ذلك قال: وإن كان. وأما قول أبي عبادة البحترى:

وأنـــا الشـــجاع وقـــد رأيـــت مـــواقفي بعقـــــرقس والمشـــــرفية شـــــهدّى

فله في ذكر عقرقس (عذر واضح، لأنه الموضع الذي شاهد الممدوح به قتاله. وليس يحسن أن يذكر موضعاً غيره ولم يحمد فيه. وهذا ليس بموجب حسن اللفظة. ولكنه ييسط عذر ناظمها حسب.

ومن هذه الألفاظ المذكورة قول عنترة:

شـــربت بمـــاء الدحرضـــين فأصـــبحت زوراء تنفـــر عـــن حيـــاض الـــديلم

عنترة أراد ذكر الماء المشروب على الحقيقة، وإلا لو أمكنه أن يذكر اسم مورد من الموارد الذي يجرى هذا المجرى كان أحسن وأليق)[٤٣].

وهو في دراسته للأخطاء يعتمد على تقاليدَ اللغة والأدب، فما خرج عنها يراه خطأ ومن الواضح أنً نقدًا كهذا يقوم على المعرفة والرواية، فيقول مثلاِ : ومن خطئه في وصفّ الربْع وساكنه قولُه :

قـــد كنـــت معهـــود ا بأحســـنٍ ســـاكن ثِـــاو وأحَســـــن دْمنٍـــــةُ ورســـــوم

ويشرح هذا الخطأ فيقول:

"والربع لا يعد رسما الا إذا تركه من كان ساكنا فيه، لان الرسم يكون دارسا وغير دارس فهذا من الاخطاء في استعمال اللفظ غير دقيق"[٤٤].

كانت مكانةُ اللغة وضوابطُها تؤثّر في تقييم الشعراء، وتتخذ معياراً يُبنى عليه نقدُ شعرهم. ويُبيّن هذا المثال دلالةً واضحة على نزعةٍ إلى تثبيت اللغة على صورتها القديمة، أو على الأقل السعي إلى إبقائها في هذا الاتجاه. فحين لجأ ذو الرّمّة إلى قدرٍ من المرونة في الاستعمال، فقرن «التدويم» بالأرض مع أن الشائع عند العرب أن يُستعمل مع السماء، عُدّ ذلك خروجًا على مألوف الوضع اللغوي. وقد كان هذا الخروج سببًا في تعييب الأصمعي لشعره وانتقاده له.

الخاتمة:

- يعد النقد اللغوي من النقود المحدودة، إذ يركز على جانب محدد من النصوص وهو لغة النص، وقد بدأ النقد العربي خطواته الأولى نقدا لغويا.
- لم يكن النقد اللغوي يمثل النقد المتكامل الذي يعنى بالنص من جميع جوانبه ووجوهه، وإنما كان الهدف منه بالأساس تنقية لغة الشعراء من اللحن والدخيل من الالفاظ، بعد ان دخلت العجمة السنة الناس وكان الادباء من ضمنهم.
- لم تقتصر تجربة النقاد على الحرص على لغة الشعراء الصافية التي تقترب من لغة القصيدة القديمة، بل وصل الأمر انهم ارادوا ان يجعلوا من القصيدة القديمة مثالا يحتذى في الاسلوب والبناء.

١. إن تمسك العلماء بوضع قوالب جاهزة للقصيدة العباسية وسيرها على وفق هذا القالب، اضر بالقصيدة وحجمها.

٢. عدم اعتراف العلماء والنقاد المحافظين بحكم الزمن واختلافه من عصر وآخر،وفقا للظروف والتطورات.

٣. هذا الاتجاه المتعصب للغة القديمة وفرضها على الشعراء وجد خطا معارضا وقف فيه الشعراء والنقاد المنفتحين على التغيير ضده.

٤. هذه المقاييس الصارمة للنقاد اللغويين جعلهم ينظرون إلى النص من زاوية واحدة متجاوزين ما تحمل هذه النصوص من قيم شعورية.

٥. لاحظ البحث أن اهتمام النقاد العرب في النقد اللغوي كان منصبا على الجوانب الشكلية ، أي كل ما يرتبط بالقوانين والضوابط النحوية والصرفية والعروضية ،من دون مراعاة الجانب الجمالي في الشعر.

٦. كان للمنهج اللغوي جوانب ايجابية إذ أسهم في تنقية اللغة العربية من الأخطاء اللغوية واللحن وساعد في الحفاظ على سلامتها وصحتها.

هوامش البحث

(١) ينظر النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري :المقدمة
(٢) ينظر مناظرات في اللغة والنحو:. ٢٨
(٣) من تاريخ النحو سعيد الافغاني: ١٩
(٤) كتاب خزانة الادب البغدادي: ١/ ٥ـ٦
(٥) من تاريخ النحو سعيد الافغاني: ١٧
(٦) المقرّب ١:/ ٤٥
(٧) ينظر كتاب الأصول في النحو الأبي بكر بن السراج:٣٧/١
(٨) طبيعة الدرس اللغوي : ٨
(٩) الد اللغوي عند العرب إلى نهاية القرن السابع:١٥٥.
(١٠) خزانة الادب: ١/ ٧ مقدمة المؤلف
(١١) نظرية اللغة في النقد العربي: ١٥
(١٢) دلائل الاعجاز: ٢٥٢.
(١٣) خزانة الادب البغدادي ١٤٥/٥.
(١٤) ينظر الخصائص:٢٣٩/١
(١٥) سر الفصاحة:٢٦٩.
(١٦) التركيب اللغوي للأدب:١٩.
(١٧) البيان والتبيين:٧٦
(١٨) النقد اللغوي بين التحرر والجمود: ٢٣
(١٩) النقد اللغوي في التراث العربي: ١٠

(٢٠) ينظر النقد اللغوي في التراث العربي: ٩٦٢ .
(٢١) اسس النقد الادبي عند العرب:٤٧٠
(٢٢) النقد اللغوي في القرن الرابع:١١١
(٢٣) النقد اللغوي في القرن الرابع ١١٨
(٢٤) التركيب اللغوي:٢١
(٢٥) دلائل الاعجاز ٨٣
(٢٦) الموازنة: ١/ ٤٢٥
(٢٧) الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي: ١٣٩ .١٤٠
(٢٨) النقد اللغوي في التراث خسارة ٩٦٦
(٢٩) ا لموازنة: ٤٩٩/١ و ينظر القرن الرابع:٧٤.
(٣٠) درة الغواص رفي أوهام الخواص: ٢٣٣
(٣١) الرسالة الموضحة للحاتمي:٣١.
(٣٢) ديوان ابي الطيب المتنبي: ٢٨٩ صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها د. عبد الوهاب عزام مصر ١٩٧٥م
(٣٣) شرح كتاب سيبويه للسيرافي :٣/ ١٣٢
(٣٤) الجملة في الشعر العربي ٢٢
(٣٥) البحث اللغوي في القرن الرابع ٤٦
(٣٦) الموشح: ١٩
(٣٧) الاقواء ان تكون القافية مكسورة في بيت والقافية التي تليها في البيت الثاني مرفوعة ويعد الاقواء من عيوب القافية .
(٣٨) ينظر الموشح: ١١٧ـ ١١٨.
(٣٩) مع المتنبي: ٣٢
(٤٠). ينظر ابن رشيق:١/ ٢١١ البحث اللغوي في القرن الرابع ١٠٥
(٤١) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٨
(٤٢) ينظر سر الفصاحة:٦٥
(٤٣) سر الفصاحة:٦٥ـ٦٦
(٤٤) ينظر الموازنة بين الطائيين: ١/ ٢١٦ وينظر النقد المنهجي عند العرب:١٢٥

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - الكتب المطبوعة:

١. أسس النقد الادبي عند العرب، د أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ـ القاهرة، ١٩٩٦م.

٢. أصول النقد الادبي، د أحمد الشايب،القاهرة، ط٨، ١٩٧٣.

٣. تأويل الشعر قراءة أدبية في فكرنا النحوي، د مصطفى السعدني، مركز الدلتا للطباعة ـ الاسكندرية، ١٩٩٢م.

٤. التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، لطفي عبد البديع، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٩م.

٥. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون،: مكتبة الخانجي، القاهرة،ط٤،١٩٩٧م.

٦. الخصائص، ابو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار،ط٢، بيروت.

٧. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه:أبو فهر ومحمود محمد شاكر، مطبعة المدني ـ جدة، ط٣، ١٩٩٢م.

٨. ديوان ابي الطيب المتنبي، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها د عبد الوهاب عزام مصر ١٩٧٥م

٩. الرسالة الموضحة في ذكر سرقات ابي الطيب وساقط شعره، محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي،تحقيق نجم محمد يوسف، دار صادر ـ بيروت، ١٩٦٥م.

١٠. سرّ الفصاحة، لابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجي، قدم له واعتنى به ووضع حواشيه ابراهيم شمس الدين،كتاب ناشرون ـ لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

١١. شرح كتاب سيبويه،تأليف أبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق، أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية،١٣٣٧هـ.

١٢. العمدة في صناعة الشعر ونقده ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، ط١ دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٣م.

١٣. الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، عثمان بن جني، تحقيق محسن عياض، دار الحرية للطباعة، بغداد،، ١٩٧٣

١٤. زقانون البلاغة، ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي، تحقيق محسن غياض، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١، ١٩٨١م.

١٥. كتاب خزانة الادب ولب الباب العرب، عبد القر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

١٦. نظرية اللغة في النقد العربي ـ دراسة في خصائص اللغة الادبية من منظور النقاد العرب ـ، د عبد الحكيم راضي، المجلس الاعلى للثقافة ـ القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧. النقد اللغوي بين التحرر والجمود، د نعمة رحيم العزاوي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٤م.

١٨. النقد اللغوي عند العرب إلى نهاية القرن السابع، د نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة ـ بغداد، ١٩٧٨م.

١٩. مع المتنبي، د. طه حسين، مؤسسة هنداوي للعليم والثقافة، مصر ـ القاهرة، ١٩٣٧م.

٢٠. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط.٣ القاهرة: د ت، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٢١. المقرّب، ابن عصفور، تحقيق احمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني ـ بغداد، ١٩٧١م.

٢٢. مناظرات في اللغة والادب، د جميل علوش، مركز الحضارة العربية ـ القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٣. من تاريخ النحو، سعيد الافغاني دار الفكر ـ سوريا، ط١ ١٩٧٨م

٢٤. الموازنة بين البحتري وأبي تمام، الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر: تحقيق أحمد صقر، ط،٢ دار المعارف، مصر.١٩٧٢،

٢٥. الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني،)تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،

ثانياً – الرسائل الجامعية:

٢٦.أثر المنهج اللغوي في النقد العربي القديم، رضوان صدار، رسالة دكتوراه، الجزائر،جامعة وهران،كلية الآداب، ٢٠١٩م.

٢٧. النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري ، فريدة بولكعيبات، رسالة ماجستير،الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية،جامعة منتوري- قسنطينة،كلية الادب واللغات، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩م.

ثالثاً - البحوث في المجلات:

٢٨. الاستقراء في النحو، عدنان محمد سلمان، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء ٣، مجلد ٣٥، ١٩٨٤م.

٢٩. طبيعة الدرس اللغوي، زينة مداوس، مجلة اللغة العربية ـ الجزائر، العدد ٥، ٢٠٠١م.

٣٠. النقد اللغوي في التراث العربي، د. ممدوح محمد خسارة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد٨٤، ٢٠٠٩م.